مجلة دابـــق - العدد 4

إحياء الرِّق قبل قيام الساعة

بعد تحرير منطقة سنجار في ولاية نينوى،

واجهت **الدولة الإسلامية** قومًا من ***اليزيديين***،

وهم أقلية وثنية تواجدت لعصور في مناطق مِن العراق والشام.

وإنّ وجودهم إلى يومنا هذا

مسألة ينبغي على المسلمين أنْ يطرحوها

لأنهم سيُسألون عنها يوم القيامة،

آخذين بعين الاعتبار أنّ الله أنزل ***آية السيف*** منذ أكثر من 1400 عام.

قال تعالى:

{ ***فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ*** } [التوبة: 5].

إنّ ***عقيدة اليزيديين في عصرنا الحاضر***

- حيث تغيرت عبر الزمن –

تستلزم ***عبادة إبليس***

الذي يعتبرونه ***مَلَكًا عاصيًا لكنه مغفور له مِن بين الملائكة*** الذين أُمروا أنْ يسجدوا لآدم!

وهو وحده أبى أنْ يسجد لآدم،

وهم يعتبرون أنْ استكباره وعصيانه لله هو أزكى أعماله!

ويعتبرون أنّ البشر لم يفهموه!

إنهم يعتبرونه صالحًا ومُهتديًا،

ويدّعون أنّ الله بلا شكٍ سيغفر له علانيةً يوم القيامة

بعد أنْ غفر له قبلها بعد بكائه دموع التقوى آلاف السنين!

لذلك فإنّهم قد جعلوا إبليس - الطاغوت الأكبر - إمام التقوى والهُدى!

أيُّ كُفرٍ واستكبارٍ أكبر مِن هذا؟

إنّ عقيدتهم مُنحرفة عن الحق

حتى أنّ النصارى عُبّاد الصليب اعتبروهم لعصورٍ ***عبدةً للشيطان***،

كما جاء في روايات الغربيين والمستشرقين الذين عاصروهم أو قاموا بدراستهم.

ومِنَ المُثير للسُخرية أنّه في نهاية المطاف

يُقر أوباما أنّ عبدة الشيطان هؤلاء

هم السبب الرئيسي لتدخّله في العراق والشام،

بجانب البيشمركة (عصابات المرتزقة المُرتبطة بماركسي الاتحاد الوطني الكردستاني المُتحالفة مع ماركسي حزب العمال الكردستاني)

المُنظمة "**الإرهابية**" وفقًا للقوانين الطاغوتية التي يُؤمن بها الغرب.

قبل الاستيلاء على سنجار،

كُلف طلبة العِلم الشرعي في **الدولة الإسلامية**

بالقيام بالبحث في أمر اليزيديين

ليتم تحديد هل يجب معاملتهم كطائفةٍ شركيةٍ في الأصل

أم أنّها جماعةٌ مِنَ المسلمين الذين ارتدّوا،

نظرًا للعديد من الأحكام الإسلامية المُتعلقة

والتي من شأنها أن تُطبّق على الطائفة، وأفرادها، وعائلاتهم.

وبسبب المصطلحات العربية المُستخدمة بواسطة هذه الطائفة

إمّا لوصف أنفسهم أو مُعتقداتهم،

فإنّ بعض علماء المسلمين المعاصرين

صنّفوهم على أنّهم قد يكونون طائفةُ ردة،

وليس دينًا شركيًا في الأصل،

ولكن بعد مزيدٍ من البحث،

تقرّر أنّ هذه الطائفة كانت موجودةً في الجاهلية قبل الإسلام،

لكنّها " ***تأسلمت*** " بواسطة مُحيط الشعوب واللغة والثقافة الإسلامية،

رغم أنّهم لم يقبلوا بالإسلام أبدًا،

ولا ادّعوا أنّهم أقرّوه.

إنّ الأصل الواضح لهذا الدين وُجد في المجوسية في بلاد فارس القديمة،

لكنْ دخلت عليه مُعتقدات من الصابئة، واليهودية، والمسيحية،

وفي النهاية عُبِّر عنه بالمصطلحات المُبتدَعة لغلاة الصوفية.

وفقًا لذلك،

تعاملت **الدولة الإسلامية** مع هذه الطائفة كما بَيَّن أغلب الفقهاء في كيفية التعامل مع المشركين.

على العكس مِن اليهود والنصارى،

لم يكن هناك مجالٌ لدفع الجزية.

لذا، فإنه يجوز سبي نسائهم،

بخلاف ***نساء المُرتدّين***:

الذين قال ***أغلب الفقهاء***

إنه لا يجوز سبيهن

ويُمكن أن يُستتبن

أو يُواجهن القتل.

(إنّ استرقاق النساء المُرتدّات المُنتميات لفِرقٍ مُرتدّةٍ كالرافضة، والنصيرية، والدروز، والإسماعيلية مِن الأمور التي اختلف فيها الفقهاء. فأغلب الفقهاء قالوا إنّ نساءهم لا يُسبَيْن ولكن يُستتبن لحديث: (مَن بدّل دينه فاقتلوه) [صحيح البخاري]. لكن بعض العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية والأحناف قالوا إنهن يُسبَيْن قياسًا بأفعال الصحابة في حروب الردة حيث سبوا النساء المُرتدّات. وهذا الرأي تدعمه الأدلة أيضًا، والله أعلم).

بعد أسر اليزيديين تم تقسيم نساء وأطفال اليزيديين بين مقاتلي **الدولة الإسلامية**

الذين شاركوا في عمليات سنجار،

بعد نقل خُمس السبي إلى سلطة **الدولة الإسلامية**.

إنّ سبي هذا العدد الكبير من عوائل المشركين رُبما يكون الأول منذ تنحية هذا الأمر الشرعي.

الحالة الوحيدة المعروفة - وإن كانت بأعدادٍ أقل بكثير –

هي سبي نساء وأطفال النصارى في الفلبين ونيجيريا من قِبل المجاهدين هناك.

إنّ عائلات اليزيديين الذين تم سبيهم

يُباعون الآن بواسطة جنود **الدولة الإسلامية**

كما بِيع المشركون بواسطة الصحابة رضي الله عنهم من قبلهم.

وتمت مراعاة العديد من ***الأحكام المعروفة***:

كعدم تفريق الأُم عَن أطفالها الصغار.

وقبل العديد مِنَ نساء وأطفال المُشركين الإسلام عن طيب خاطر،

وهم يسارعون الآن لاتّباع تعاليمه بإخلاصٍ ظاهر

بعد خروجهم مِنْ ظُلمات الشرك.

قال رسول الله ﷺ:

(***عَجِب الله مِن قوم يدخلون الجنة في السلاسل***)

[رواه البخاري عن أبي هريرة].

قال مُفسرو الحديث:

إنّ هذا يُشير إلى قومٍ يَدخلون الإسلام وهُم رقيق، ثم يَدخلون الجنة.

قال أبو هريرة رضي الله عنه تعليقًا على قوله تعالى:

{ ***كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ*** } [آل عمران: 110]:

(كنتم خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام) [صحيح البخاري].

بعد ما سبق ذكره،

وبينما نقترب مِن الملحمة الكبرى " ***المعركة الكبرى قبل قيام الساعة*** "

- عندما يشاء الله –

فإنّه مِن المثير للاهتمام أن نلاحظ أنْ الاسترقاق ذُكر ***كإحدى علامات الساعة***

وكذلك ***كأحد الأسباب وراء الملحمة الكبرى***.

ذَكَرَ رسول الله ﷺ

أنّ إحدى علامات الساعة أنْ (***تلد الأمَة رَبّها***)

[رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة، ومسلم عن عمر].

ذَكَرَ العُلماء عددًا من التفاسير لهذا الأمر،

فبعضهم استبعد الاسترقاق المعروف لأنّه كان موجودًا وشائعًا في عصورهم.

المقتطفات التالية مِن التفسيرات

تُشير إلى أنّ الاسترقاق المعروف هو التفسير المحتمل منذ ظهور القوانين الطاغوتية وهجر الجهاد.

قال ابن رجب الحنبلي في شرحه لهذا الحديث:

(واختلف في معنى ذلك،

فقيل: المُراد أنْ يكثر فتوح بلاد الكفر والسبي،

فيكثر السراري فتلد الإماء الأولاد مِن سادتهن،

وولد السيد بمنزلة السيد

"بمعنى أنّه حُرّ مثل والده"

فتصير الأمَة وَلدت ربّها بهذا الاعتبار ...

وقيل:

المُراد بقوله "**تلد الأمَة ربّها**" كثرة الفتوح في بلاد الكفار،

وجلب الرقيق

حتى تُجلب المرأة مِن بلد الكفر صغيرة فتعتق في بلد الإسلام،

ثم تُجلب أُمّها بعدها فتشتريها البنت وتستخدمها جاهلةً بكونها أُمّها،

وقد وقع ذلك في الإسلام.

وهذا القول مِثل الذي قبله

في أنّ أشراط الساعة كثرة الفتوح وجلب الرقيق من بلاد الكفر ...

وقيل:

بل أراد بولادة الأمة ربها

أنّه يكثر عدول الناس عند النكاح إلى التسري فقط،

والله أعلم) [فتح الباري].

وقال ابن رجب أيضًا:

(وهذه إشارة إلى فتح البلاد،

وكثرة جلب الرقيق حتى تكثر السراري،

ويكثر أولادهن،

فتكون الأمَة رقيقة لسيدها

وأولاده مِنها بمنزلته،

فإنّ ولد السيد بمنزلة السيد،

فيصير ولد الأمَة بمنزلة ربّها وسيدها)

[جامع العُلوم والحِكَم].

شرح النووي الحديث بقوله:

(قال الأكثرون من العلماء:

هو إخبار عن كثرة السراري وأولادهن،

فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيده)

[شرح صحيح مسلم].

وعلق ابن حجر على هذا التفسير بقوله:

(لكن في كونه المراد نظر

لأن استيلاد الإماء كان موجودًا حين المقالة

والاستيلاء على بلاد الشرك وسبي ذراريهم واتخاذهم سراري

وقع أكثره في صدر الإسلام)

[فتح الباري].

مرةً أخرى،

يبدو أنّ هؤلاء الذين ابتعدوا عن التفسير الحرفي للرِّق

فعلوا ذلك لأنّه كان موجودًا وشائعًا في عصرهم

فوجدوا صعوبة في فهم أنّها إشارة إلى الرِّق الفعلي.

لكن بعد أنْ تخلّى المُسلمون عن الرِّق

ثم إحيائه لاحقًا،

أصبح هذا التفسير الحرفي أكثر قبولًا.

بالإضافة إلى هذا،

فإنّ حديثًا ينبغي أنْ يُشار إليه

وهو ***الحديث الطويل عن دابق***

الذي ذكره مسلم عن أبي هريرة.

ففي الحديث يقول الروم للمسلمين

بعد أنْ تصافوا في صفوف بالقرب مِنْ دابق:

(***خلُّوا بيننا وبين الذين سبوا مِنّا نقاتلهم***)

فيقول المسلمون:

(***لا والله، كيف نخلي بينكم وبين إخواننا***)،

ثُمّ تبدأ المعركة الدامية بعد هذا الحوار القصير.

وعلّق النووي على هذا الحديث بقوله:

(رُوي "**سبوا**" على وجهين:

- فتح السين والباء،

- وضمهما.

قال القاضي في المشارق: "الضم رواية الأكثرين".

قال: "وهو الصواب".

قلت: **كلاهما صواب،**

لأنهم سُبُوا أولًا،

ثم سَبَوْا الكفار،

وهذا موجود في زماننا،

بل معظم عساكر الإسلام في بلاد الشام ومصر سُبُوا،

ثم هم اليوم بحمد الله يسْبون الكفار،

وقد سبوهم في زماننا مرارًا كثيرة.

يَسبُون في المرة الواحدة مِن الكفار ألوفًا،

ولله الحمد على إظهار الإسلام وإعزازه)

[شرح صحيح مسلم].

ومِن هنا اتضح مِن أين جاء الإلهام للشيخ أبي محمد العدناني حفظه الله حين قال:

(وإنّا نعدكم بإذن الله أنّ هذه الحملة آخر حملاتكم.

وستنكسر بإذن الله وتخيب،

كما كُسرت جميع حملاتكم مِن قبل وخابت،

إلا أنّه هذه المرة نحن مَن سيغزوكم بعدها،

ولن تغزونا أبدًا.

وسوف نفتح روماكم،

ونكسر صلبانكم،

ونسبي نساءكم،

بإذن الله تعالى.

فهذا وعده سبحانه لا يخلف الميعاد.

إنْ لم نُدركه نحن،

سيدركه أبناؤنا أو أحفادنا

ويبيعون أبناءكم في سوق النخاسة عبيد)

[إن ربك لبالمرصاد].

***وقبل أن يُلقي الشيطان شكوكه لضعاف العقول والذين في قلوبهم مرض*،**

يجب أنْ يتذكر المرء:

أنّ أسر عائلات الكفار وأخذ نسائهم كسبايا

***هو أمرٌ راسخٌ في الشريعة*،**

وإنْ كان هناك من يريد أنْ ينفيه أو يستهزئ به،

فإنّه بذلك *ينفي أو يستهزئ بآيات القرآن وسنة النبي ﷺ*،

ويكون بذلك ***مُرتدًّا عن الإسلام***.

قال تعالى:

{ ***قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ*، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ*** } [المؤمنون: 1-7].

(ملاحظة: الاستهزاء بآيات الله وسنة رسوله ناقض من نواقض الإسلام، ودليله قوله تعالى في سورة التوبة: ***وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ، لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ*** (التوبة، 65-66)).

أخيرًا،

يَذكُر عددٌ مِن العُلماء المُعاصرين

أنّ ***التخلي عن الاسترقاق أدى إلى شيوع الفاحشة***

(الخيانة الزوجية، الزنا، وغيرها)،

لأنّ البديل الشرعي للزواج لم يعد موجودًا،

لأنّ الرجل الذي لا يستطيع الزواج من امرأة حُرةٍ

يجد نفسه مُحاطًا بشهوات تُوقعه في المعصية.

بالإضافة إلى أنّ الكثير مِنَ العائلات المُسلمة

الذين استأجروا *خادماتٍ للعمل في بيوتهم*،

واجهوا فتنة الخلوة المُحرّمة

وما يتبعه مِن زنا بين الرجل والخادمة،

بينما لو كانت الخادمة مُلْك يمينه

لكانت هذه العلاقة مُباحة شرعا.

وهذا مرة أخرى مِنْ نتائج التخلي عن الجهاد واللهث خلف الدنيا،

والله الُمستعان.

بارك الله في هذه **الدولة الإسلامية**

وجعل إحياء المزيد مِنْ جوانب الشريعة المهجورة على يديها.

والحمد لله رب العالمين.

ترجمة Abdulaziz_Shamr

.